قلب المرأة

بقلم حضرة الكاتبة الفاضلة السيدة لبيبه هاشم (ماضي)

في حديقة كساها ربيع الحياة بحاله الباهرة وتفتحت فيها اكمام الشبيبة عن ازهاره الناضرة وانقشعت عن سمائها غيوم العناء فصفا جوها كمرآة الحسناء هناك كانت فتاة في ابهى سني العمر تفوق بحسن طلعتها جمال البدر تسير في سماء الحرية محاطة بهالة الطهر والعفاف متسربلة بثوب حيك نسيجه من خيوط الادب وتزينت بحلى رصع معدنها بنجوم الامل وهي لاهية تارة بقطف الازهار واجتناء الاثمار وطوراً باستماع خرير المياه وتغريد الاطيار ترسل من انوار محياها المشرق بفواعل الابتهاج شعاعاً ينير ذلك المكان وتنزل من لطف ابتساماتها برداً وسلاماً على قلوب اهله اللائذين بها وهي راضية من نعيم الحياة بخلو القلب وصفاء البال تحسو كأس الهناء صافية ثم تقول عجباً كيف يشقى الانسان بل لم يموت الناس....

وولى القسم الاول من الليل فاتخذ بدر محياها وجهة الغروب واغمدت من اجفانها سيوفاً لم تمرن على منازلة القلوب بعد ان توسدت من بساط السلام فراشاً ملاءته الطهر ودثاره الكمال وسلمت نفسها الى احكام الرقاد متكلة على الله في كل حال

وبزغ فجر الصيف بعد تلك العشية يمازجه من انفاس الغزالة حرارة اصابت وجه الصبية فانتبهت مذعورة وتراجعت القهقرى وصاحت من دهشتها ربي ماذا جرى فاجابها ريح الصبا بنسمات امالت منها قامة هي

التدبير وما السر في هذا التغيير فاجابها من داخل صدرها خفقان دوى صداه في جو الفكر ورددته القلب قائلا انا السبب في ذلك فاكتمي السر

وقد كان صيف الحبيبين جميلا سطعت فيه السعادة فانارت اشعتها فواديهما بنور الحب وصفاء البال وناغت الاطفال على وتر الهناء ليت الدهر يدوم ولا تنقضي هذه الحال

غير ان دوام الحال من المحال اذ ان شمس الغرام اخذت تافل رويداً رويداً ولهيب الحب يخمد شيئاً فشيئاً واغصان القدود تنوح على فناء اوراق الحياة وورد الخدود يذبل لفراقها وشابت ناصية الجوارح وبشر الجفاء بقرب الشتاء فكلل الثلج هامة الفؤاد وحل السكون في اطراف ذلك الفردوس الصغير وجرده من كل غصن نضير وعصفت فيه زوابع القنوط فختمت على جوه بالعبوسة والظلام

تلك هي الفتاة وتلك هي حياتها واحلامها ابان الصبا بل تلك هي المخلوقة البديعة المثال التي تزف الى الرجل وهي جاهلة تمام الجهل امر العالم وغروره والدهر وغدره فتسلم ذاتها اليه برضاها واختيارها وليس احب لديها من ذلك التسليم ومن ان تكون اسيرة من تحب وامة من يختاره فوادها قيما عليه

ومعلوم ان عواطفها لا ترضى بهذا الانقياد والتسليم الا لمن ترى فيه الكفاءة والثقة ولا تكون الثقة الا حيث الاعتقاد ولا يتولد الاعتقاد الا حيث يحل الحب فالحب اذن من اوثق اركان الراحة واعظم اسباب السعادة وبه يهنأ الزوجان وتصفو ايامهما والحب لا ينمو ولا يثمر الا حيث يجد ارضاً جيدة محراثها الادب وسمادها العلم فتصير بذلك صالحة لانماء بذور الحب واجتناء ثمار نعيم الحياة وسرورها

الغصن لولا انها اكثر اعتدالا واشد ليناً فازاحت من امامها سياجاً كان يحجب عنها سبيلا لم تكن قد وطأته قدماها فسارت فيه يقودها حب الاستطلاع وحلاوة الجديد حتى انتهت الى باب الحديقة فرأت عالماً جديداً وفضاء بعيداً فيه من المناظر الجميلة والمظاهر البديعة ما شغل قلبها وخلب لبها فتاقت نفسها الى التمتع بمحاسن رياضه والانخراط في سلك اهله ولكنها ما عتمت ان رأت ما فيه من الهضاب والاكام والادغال والاجام ما يعسر اجتيازه على من كانت مثلها بلا رفيق فادركت صعوبة الموقف ووعورة المسلك وكادت تعود الى عش ترعرعت به وجنة نشأت في ظل سمائها لو لم ترَ من توافد رفيقاتها وتسابق اخواتها ما يشجعها على اقتفاء اثرهن واتباع خطتهن فجلست على صخرة عالية تشرف منها على ذلك الميدان وبعثت برسل الانظار الى الامام حيث كان كل يرقص في دوره على نغمات الزمان ثم نهضت تسير سيراً بطيئاً وهي بين اقدام واحجام وافكارها في نزال واصطدام الى ان ادركها التعب فاطبقت اجفانها واستسلمت لعوامل الاحلام فرأت يد الوهم ترسم لها مثالا كون من معدن امالها وصيغ من زبدة اميالها وافرغ في قالب رغائبها فتجلى منه شبح لم تر عيناها ابدع منه منظراً واجمل مظهراً ورأت العالم الى جانبه طافحاً بالمسرات والرفاء والحياة بقربه مكللة بالسعادة والهناء

ثم استيقظت سكرى بخمرة الامل تبحث عن رجل حلمها وهي بين السرور للقياه والاضطراب من صدوده الى ان تيسر لها ما كانت تهواه وتخشاه وادركت من حبيب اليقظة فوق ما كانت تتمناه من رفيق الاحلام فسحت ما قيها بدمع الشكر والثناء على ما وهبته من السعادة والرخاء وقالت ربي ما الذي اتيته من المبرات حتى استحققت هذا الجزاء وكيف كان ذلك

فعلى الزوج ان يجعل رائد افكاره امتلاك قلب المرأة حتى اذا اجتاز هذه العقبة تسهلت لديه المصاعب وانقادت له السعادة مطأطأة صاغرة اذ يظهر امام المرأة متفرداً بصفات هي مستودع المحبة والولاء وخلاصة المروءة والوفاء فتقابله بالمودة والخلوص وتوقف حياتها وادارتها على ما فيه مصلحته ورضاه

لا جرم ان عواطف الحب ليست بكافية وحدها لامتلاك قلب المرأة بل هناك امر آخر لا يستغني الحب عنه مهما كان شديداً وظاهراً وهو لا بد منه حفظاً لجوهر الحب من الفساد او الزوال ووقايته من هجمات الاوهام التي يعقبها الندم فاليأس وبئس العاقبة

ان قلب المرأة كجسدها يحتاج الى الغذاء ولا تصفو له الحياة ويدوم فيه رونق الامل الا اذا تسهلت له موارد ذلك الغذاء وهو الحب وكما ان الجسد لا يكتفي بطفة واحدة من الطعام مهما بلغ مقدارها بل يحتاج الى تكراره يومياً . كذلك قلب المرأة بل هو اشد شراهة من الجسد اذ انه يطمع بالبراهين المجددة للعهود في كل لحظة ونظرة وحركة ولا يكون ذلك بمجرد ان يقول « احبك » لان تلك اللفظة تكون جميلة عذبة السمع عند اول مرة ينطق بها فم المحب ولذلك تنقش على صفحات قلبها باحرف لا يمحوها كرور الايام فلا يبقى ثمة داع لتكرارها ولكن يجب على المحب تعهدها من وقت الى آخر وازالة ما ربما يغشاها من غبار الشك وغيوم الاوهام كي تحفظ سليمة وجميلة والا فادران الريبة والضلال تغشى ذلك القلب السليم وتختم عليه بالشقاء والخيبة

اما تعهده وكفية صيانته فذلك لا يقوم الا بحسن رعايته واجتناب

ما يظنه مؤثراً فيه بالنسبة الى نوع معدنه وقابلية تأثيره وهو ما يصح ان يسمى بالسياسة الزوجية التي تحفظ للزوج صيانة قلب امرأته من فساد الاوهام خالياً مما يشوبه من الشك والارتياب . وهذه السياسة مطلوبة منه جديرة به لان العزة الالهية والهيئة الجامعة جعلتاه رفيقاً امينا ووالداً مرشداً وزوجاً مخلصاً

والعاقل من عرف كيف السبيل لبلوغ السعادة والصفاء من الزواج الذي جعلته السنة اساساً متيناً لتوثيق دعائم الوفاق بين الامم البشرية واتحاد القلوب والافكار لتقديم بني الانسان في الحضارة والعمران

المملكة والدين

ظهر الانسان على وجه البسيطة مجملاً بكل قواه الطبيعية جسداً وعقلا « نوعاً لا رتبة » على انه لانفطاره على حاسة الخوف ومحبة السيادة بالانقياد لارآء من هم اوفر منه شجاعة وامهر تدريباً سار في طريق الحياة المتشعبة ولا ناموس له غير التقليد ولا شريعة تقيد اميال غير ما وضعه بعض الافراد الذين ظهروا في معظم ادوار البشرية فرتبوا بحسب صوالحهم وصوالح الشعب سنناً تطابق ظروف الاحوال التي ظهروا بها فانقسمت القبائل وتكونت الملل فاختلفت باختلافها الاهواء وتباينت المقاصد وآلف كل مشرب قومه فاصبح لمعظم سطوة العادة متمسكا بتقاليده الموروثه متخذاً اياها دستوراً في كل اعماله مرتجفاً فرقا لدى اقل مخالفة تصدر منه خشية العقاب في العالم العتيد فنتجت

عن ذلك التعصبات الهائلة والانشقاقات العديدة التي مزقت شمل البشر وبددتهم على وجه البسيطة اقساما يعيش كل منها بالتقتير والاكتفاء بضروريات الحياة يربي الاطفال على حب الجنسية والتعصب ليكونوا في المستقبل اهلاً لحمل راية الدين والدفاع عنها في معتركات الجهاد العديدة

وهكذا مرت قرون عديدة على بني الانسان وهم مشتتون قبائل كل واحدة منها مستقلة بنفسها تجمع افرادها وحدة التقاليد وتضم كلمتهم الرئاسة الدينية التي كانت بيدها ادارة الاحكام المدنية بفروعها واجازة الصلاح وعقاب المجرمين « بحسب ما كانوا يعتقدون »

وبالاجمال ان وحدة البشرية التي فسحتها الغايات لم تكن لتذعن في تلك الادهار الا لصوت الدين ولاحكام الكهنة فكانت الدول اذ ذاك اشبه بنوع من الملك المطلق تديرها اهواء الرؤساء فيساعد على الخضوع لاحكامها عمى الشعب وجهله

وبما ان الانسان ذو عقل يقوى بالتجارب وجرثومة الادراك الحقيقي الكائنة فيه منذ الوجود من ناموسها الارتقاء والاكتساب ما لبث ان شعر بثقل نير العبودية على كاهله وعلم انه لو وجد دين فليس من احكامه وشرائطه تلك المظالم التي ينوء تحت عبئها فسببت تلك المعرفة انفتاح اذنيه الصماوين فسمع نداء الصوت الطبيعي صوت النفس المعذبة بالاذعان مع الجسد لاوهام تقودها الى فقد موهبة الحرية الذاتية فكراً وقولا وعملا . فهاجت الخواطر وانفكت قيود الاستعباد من ايدي الشعب المظلوم فقام يطالب بحقوقه المسلوبه فتكونت اذ ذاك عدة جمهوريات كانت الاراء فيها لنواب الشعب والحكم لرئيس ذي اهلية يقوم بالانتخاب العام . ولكن لم تكن تلك